يستطيع ان يرد الفساد عن اخلاقه وسجاياه ولقد اعطتنا الدنيا شيئاً واخذت شيئاً والحمد لله على كل حال

آداب الكاتب

سئل احد افاضل الكتاب مرة عن رأيه في الكتابة وعن الطريقة المثلى التي ينبغي اتباعها فيها فاجاب على سؤال ذلك المسترشد بما محصله. اذا شئت ان تكون كاتباً حقيقياً وان يكون فضلك وادبك مقدورين حق قدرهما عند من يقرأوك فاكتب ببراع الذمة من مداد القلب على قرطاس الصدق والحقيقة دون اجهاد قريحة ولا كد ذهن وبغير تكلف ولا تعقيد. وفي هذا الكلام من اصالة الرأي واخلاص النصح ما هو جدير بالاعتبار وحقيق ان يعيه اكثر كتابنا الذين اذا لم تكن غالب كتاباتهم متماثلة في الحسن والاجادة وغير مقدورة حق قدرها وهم يتضجرون فلأن بعضهم ومنهم الادباء الحقيقيون يرهنون ذممهم ويتاجرون باقلامهم طلباً للرزق واحتيالاً على المعاش فلا يجيدون من جهة ولا يدركون المنزلة التي يطمحون اليها من التجيد والاقبال على ما يكتبون ثم لان البعض الاخر يكتب متطفلاً دخيلاً فلا يقطر من قلمه فكر يتمثل على القرطاس سطراً الا وقد قطر العرق من جبينه بحراً واوجع رأسه لفرط ما كد ذهنه واجهد قريحته. ونحن لا نلومه على تقصيره هذا كما اننا لا نستطيع ان نلوم الضعيف البنية الذي يعجز عن طلوع المرتقى الصعب بنفس السهولة التي يصعد بها القوي النشيط دون نصب او عناء فانما هي الطبيعة تجود على هذا من القوى بما بخلت به على ذاك

سنة لن تجد لها تبديلاً والا تساوى الناس كلها ولم يكن تفاوت ولا تمييز. ولكنا نلوم ذلك الكاتب الدخيل لانه كلف نفسه ما لا قبل لها عليه وما يكلف الله نفساً الا وسعها ولانه اقدم على الخوض في البحر العجاج وهو الذي يكاد يغرق في السواقي. ونحن لا نقول ذلك لحمل الكتاب المسترشدين على الاقلاع والرجوع عما باشروه في باديء امرهم فان الكتابة كغيرها من الصنائع تتقن بالمزاولة وتكسب بالممارسة ولا شيء في الدنيا يجتهد الانسان في تحصيله الا ويفوز منه بنصيب. ولكنا ننصح لمن طال عهده في مزاولة هذه الصناعة ولم يستسهل صعابها او لم يستفتح مغالقها وابوابها ان يقلع عنها اقلاعاً شريفاً ويرحم نفسه قبل ان يستهدف لمن لا يرحم قصوره وان لا يصر مقيماً على غروره قبل ان يصادف من يفضح غروره ولا غضاضة على من رغب عن عمل لا استعداد عنده للاجادة فيه الى عمل آخر قد يكون من الحذاق المجيدين له واذا كانت هذه هي نصيحتنا لمن يعد مقصراً في الكتابة وهو في الحقيقة عيب مقصور على صاحبه لا يكاد يتعداه الى سواه فانما هي نصيحتنا ايضاً للكاتب المجيد الذي جال في حلبة هذا الميدان فبلغ فيه شأواً بعيداً ودانت له جياد المعاني والبيان وادرك منزلة سامية ومكانة عليا في عالم الاداب جعلته يتكلم من اعلاها فلا ترى الا كل مؤمّن على ما يقول فاما ان يكتب غير متاجر بذمته وضميره غير راهن قلمه لغرض من الاغراض والغايات الدنيئة السافلة مترفعاً عن الكذب والنفاق معرضاً عن الرياء والبهتان او ان يشج رأس القلم اذا لم يستطع الى غير ذلك سبيلاً وليتاجر ببيع السموم والخمور القتالة والحشيش وليقتل بها ما شاء من الجسوم والنفوس خير له من تضليل العقول والافكار والتمويه على الناس ونفسه

ثم اذا كان الصدق واجباً في الكلام فهو لاشك اوجب في الكتابة لان الاقوال تزول والكتابة تبقى . انظر الى ارباب الكلام والى ارباب الاقلام كيف اثر الاولين يزول بزوالهم ولا يقيم الا مهلة ما يتردد صداه ثم يضيع في الهواء كأنه ما قيل وان كان قدر قائله عظيماً وكيف يثبت اثر الاخرين بل يتجدد كلما تقادم الزمان وهذا مما يزيد في تبعة الكاتب لان الكلام مهما كان مضللاً فلا يتناول تأثيره الا سامعه في زمن واحد واما ما قطر من القلم فاذا لم يكن مما املاه الضمير الصافي واوحته الذمة الطاهرة ومحصه الصدق كان سماً لا يتناول ضرره فقط من قرأه من اهل زمانه بل يستمر على مرور الايام ضلالاً للافكار والاذهان

وعندنا ان اكبر بلاء تمنى به امة ان يقوم فيها اناس يكتبون متاجرين بذممهم بائعين لضمائرهم راهنين لاقلامهم لاننا نعتقد ان الحكام وهم قادة الاجسام لا يستطيعون ما يستطيعه الكتاب وهم قادة الافكار والعقول وشتان بين القيادتين فاذا زاغ الحاكم عن جادة الصواب اواعوج كان له من الكتاب واهل الاداب النزيهين من يهديه صراط الحق ويقوم معوجه واما اذا ضل اهل الفئة الثانية فقل على الدنيا السلام وانذر تلك الامة بسوء المصير والمنقلب

ولا يتوهمن القاريء الكريم من كلامنا هذا اننا ممن لا يسلمون بتغاير المباديء وتباين الاراء وانه يجب ان ينطق الناس كلهم عن وحي واحد ويرموا عن قوس واحدة بل اننا بالعكس ممن يعتقدون تمام الاعتقاد ان الحقيقة بنت البحث وان النور لا ينقدح الا من الاحتكاك وما كان النجاح رائد عمل الا وكان البحث فيه مشتركاً لم ينفرد فيه شخص واحد بفكره ورأيه ولكن الذي نشترطه ان يكون هذا التباين في الخطط والاختلاف في

النظر والتناقض في المباديء صادراً عن اعتقاد حقيقي واخلاص نية لا يعترضها من الغرض والعناد حجاب كثيف يمنع ظهور النور وجلاء الحقيقة

وحبذا لو كان يتسع هنا مجال الكلام لتبيين عظيم التبعة الملقاة على كواهل الكتاب خصوصاً في بلادنا الاخذة الان في النشوء والارتقاء والواجبات المفروضة عليهم ازاء ضمائرهم وذممهم ان كان لهم ذمم وضمائر ونطيل النصح فيما يجب عليهم قبل ان يطالبوا فيما يجب لهم ولكنا نقول موجزين كل الايجاز ان قلم الكاتب كما انه لا ينبغي ان يكون رهن غرض كذلك لا ينبغي ان يكون رهن عاطفة حدة او انتقام عن عداء لشأن خصوصي يتحول معه ذاك القلم الى سلاح قاطع يكمن الموت في صفحتيه لانه اذا كان غير لائق بالانسان ان يطيع في كلامه عامل الحدة والغضب فكم يكون في الكتابة . ولو اردنا ان نعدد ما جرت عثرات هذا القلم من الويلات والنكبات على اصحابها وعلى غيرهم لطال بنا الحديث ولكنا نكتفي بذكر المتنبي الشاعر العظيم وما جناه على نفسه لما اطاع عامل الغضب والانتقام فهجا ضبة ذلك الهجو البذيء الذي اورده حوض رداه

وبالجملة فلا يجب ان نسود صفحات القرطاس الا بما يبيض معه وجه العذر ولا ندون فيه الا ما يطيب نشره ويحلو به الذكر فاذا استكملنا هذا الشرط وهو الواجب فقد استكملنا اجل آداب الكاتب